حتى أولئك الذين تشبعوا بالمناهج الحديثة، فقد نظر رونيه باليبار إلى أن الأدب، بشكل عام، لا يمكن أن يقوم إلاّ على أساس التناقض بين الإديولوجيات:

«لكي يكون هناك أدب، فإن الأمر يتعلق في الوقت نفسه بعناصر متناقضة، أي عناصر إديولوجية متناقضة تعبر عن نفسها دفعة واحدة، من خلال لغة خاصة. لغة التراضي Compromis التي يحقق تَصَالُحُها المُمْكِنُ قِصَّة، وبمعنى آخر، فإن هذه اللغة المتعلقة «بالتراضي» تجعل التصالح يظهر وكأنه «طبيعي» وكشيء ضروري لا يمكن تجنبه»[52].

ولا نعتقد أن أحداً من الدارسين تحدث عن المكونات الإديولوجية للنص الروائي بطريقة عميقة مثلما فعل باختين منذ زمن بعيد. فأبحاثه جاءت قبل أبحاث ماشيري، ولكنها ظلت غير معروفة نظراً، لما لاقاه من اضطهاد في روسيا بسبب أفكاره المخالفة للتصور الماركسي. ونظراً لأننا أسهبنا في قسمين لاحقين في تحليل أفكار باختين فإننا نكتفي هنا بالإشارة فقط إلى بعض الأفكار الأساسية فيما يخص الإديولوجيا في الرواية.

عندما يتحدث باختين عن الإديولوجيات في النص الروائي لا يُحدد بدقة هل يقصد المدلول السياسي الضيق أم المدلول الثاني الذي له صلة برؤية العالم.

غير أننا نلاحظ أن السياق الأول هو المقصود دائماً باستعماله لكلمة إديولوجيا. ثم إن الإديولوجيا عنده تصبح أحياناً مُجرد صوت فردي يشكل موقفاً مخالفاً لموقف الخصم، وهكذا فكل بطل في الرواية أو كل مجموعة من الأبطال تشكل زاوية نظر خاصة ومخالفة لآراء الأبطال الآخرين، وعن هذا الإختلاف الإديولوجي ينشأ الصراع في الرواية، وتصبح صياغة الحبكة ممكنة. إن باختين يرى أن الأساس الذي تقوم عليه الرواية هو حِوَارِيَّتُها، حيث يكون هناك حوارٌ بين أنماط للوعي متعارضة. وهو يقول بهذا الصدد:

«إن وعي الذات عند البطل - وهو يهيمن على مجموع عالم الأشياء في الرواية - لا يمكنه إلا أن يحاور وعياً آخر، كما أن حقل رُؤيته لا يمكن أن يوضع إلاّ بجانب حقل آخر للرؤية وأيْديُولجيته إلا بجانب إديولوجية أخرى»[53].

إن باختين نادراً ما ينتقل إلى الحديث عن إديولوجيا الكاتب نفسه، فأمام وعي البطل الرئيسي في الرواية ليس في وسع الكاتب كما يرى «باختين» إلا أن يضع في المقابل عالماً موضوعياً، هو المتشكل من أنماط الوعي الأخرى المعارضة لوعي البطل والمساوية له في القيمة[53].

يعتمد باختين على الأبحاث اللسانية الماركسية لتأكيد وجود الإديولوجيات في بنية الفن

---

(52) Renée Balibar: **Les français Fictifs**, Hachette ed, Littérature 1974. P. 33

(53) Mikhail Bakhtine «**La poétique de Dostoievski**. ed. seuil, P. 85-86.